دور السياق في فهم تصرفات الرسول: -دراسة نظرية وتطبيقية في الأحاديث التي تأمر بقتال الناس حتى يؤمنوا-

"The Role of Context in Understanding the Actions of The Prophet Muhammed: -A Theoretical and Applied Study of the hadīths that command people to make war until they believe-"

محمد صديق*

Abstract: This research examines the effects of hadīths on the understanding and interpretation of hadīths and their role in the classification of the Prophet Muhammed's behaviors by revealing the context types of hadīths. The research concluded that the contexts covering the hadīths fulfilled the task of determining the status of the Prophet Muhammed's behavior and thus could reveal the purposes of the Prophet Muhammed's dispositions .In the applied part, the research examined the hadīth of "I have been commanded to fight against people till they testify that there is no god but Allah" and its contexts, As a result of the examinations, the research concluded that the contexts reveal that the judgment expressed by the hadīth is dependent on a particular event.

Citation: Muhammed SIDDĪQ, "Dawr al-Siylāq fī Fahmi Tasarrufāt al-Rasūl: –Dirāsa Nazariyyah wa Tatbīqıyyah fī'l-Ahādis allatī Ta'muru bi-kıtāli'n-Nāse hatta Yu'minū-" (in Arabic), *Hadis Tetkikleri Dergisi HTD*, XX/1, 2022, pp. 47-63.

Key words: Context, Hadīth, Behavior, Prophet, Interpretation.

المبحث الأول: السياق مفهومه وأنواعه

يطلق السياق لغة على معنى التتابع و الاتصال فـــسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.[1]

أولاً: السياق مفهوماً وتعريفاً في الدرس الأصولي

إن للسياق في الدرس الأصولي حضور واضحا وخاصة فيما يتعلق بالفهم والتأويل؛ فبالرغم من تعدد وجهات نظر الأصوليين نحو السياق إلا أن المقاربة العامة كانت تقوم على أنه قرينة في الفهم والتأويل ومعين في الاستنباط[2] وتبيين المعنى كما بين الشافعي في الباب الذي سماه "الصنف الذي يبين سياقه

* الدكتوراه في علم الحديث أستاذ في طاهر بويوككوروكجي ثانوية الأئمة والطباء قونيا m.sddik85@gmail.com
ORCID: 0000-0001-6773-3303
Geliş: 27.04.2021 Yayın: 30.06.2022

[1] إبراهيم الزيات وغيره من المؤلفين. *المعجم الوسيط* دار الدعوة 465/1.

[2] سعد بن مقبل العنزي *دلالة السياق عند الأصوليين* مكة المكرمة: جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية رسالة

معناه."[3] كما أنهم بينوا أن السياق كما يقوم بالترجيح بين المحتملات فإن السياق المقامي له دور أيضا في تأويل النص وقد تناول الغزالي السياق من هذا المنظور فأشار إلى " فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام"[4] وأكد على ذلك العز بن عبد السلام حيث يقول " السياق مرشد إلى تبين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الاستعمال فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما."[5] والسياق كقرينة مقامية يُخرج الألفاظ عن ظاهرها فيخرج صيغة الأمر عن ظاهرها[6] ويخصص العام.[7] كما نلاحظ حضورا واضحا للسياق عند البلاغيين حيث تطرقوا إلى السياق المقامي وبينوا أن القرائن المقامية/الحالية التي تتصل بالمتكلم والمخاطب لها دور في الفهم واشتهر بينهم "لكل مقام مقال" يقصدون بذلك أن السياقات تفرض نوعا من التصرف الكلامي.[8]

ومن ناحية أخرى نرى حضورا للسياق في معرفة المقصد[9] حيث بين العطار أن " السياق ما سيق الكلام لأجله"[10] وبعضهم كالسرخسي تناول السياق تحت مسمى "سياق النظم" حيث يقول قوله تعالى: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" فإن بسياق النظم يتبين أنه ليس المراد ما هو موجب صيغة الأمر بهذه الصفة[11] فسياق نظم الآية دلنا على مقصدها وأنه ليس التخيير. أما نظرية السياق أو المساق عند الشاطبي فهي أكثر وضوحا حيث يتجلى عنده السياق في عدة اعتبارات:

(1) سياق المقاصد باعتبارها فلسفة التشريع فالمقاصد " معتبرة في التصرفات"[12] والسياقات هي قرينة على المقصد.[13]

(2) السياق المقامي باعتباره المسرح الذي جرى فيه الحدث اللغوي/الفعلي[14] فهو يبين أن المعاني لا تتبين فقط من ظاهر اللفظ بل لا بد من اعتبار المقام وإلا عادت الشريعة لغوا.[15]

(3) السياق الموضوعي باعتبار الشريعة كُلاً لا يتجزأ فلا بد من اعتبار النظر في كل الكلام الوارد في

ماجستير 1427-691428-63 بدر الدين الزركشي *البحر المحيط في أصول الفقه* دار الكتبي1994 504/4.

3 أبو عبد الله لشافعي: *الرسالة* تحقيق. أحمد شاكر مصر: مطبعة مصطفى بابي الحلبي 1940 574.

4 أبو حامد الغزالي *المستصفى* تحقيق. محمد عبد السلام عبد الشافي بيروت: دار الكتب العلمية 1993 ص. 264.

5 العز بن عبد السلام *الإمام في بيان أدلة الأحكام* تحقيق. رضوان بن غربية بيروت: دار البشائر الإسلامية 1987 ص. 159.

6 سعد الدين بن مسعود التفتازاني شرح التلويح على التوضيح مصر: مكتبة صبيح بدون تاريخ 296/1.

7 الزركشي *البحر المحيط* 289/4

8 محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني *الإيضاح في علوم البلاغة*. تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي بيروت: دار الجيل ص 7 -8. وانظر: بو زيد رحمون *الدلالات السياقية للقصص القرآني* سطيف: جامعة فرحات عباس كلية الآداب واللغات رسالة ماجستير 2010-2011 21.

9 العنزي سعد: *دلالة السياق عند الأصوليين* 70 .

10 حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي *حاشية العطار على شرح الجلال المحلي* بيروت: دار الكتب العلمية د.ت 320/1.

11 أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي *أصول السرخسي* تحقيق. أبو الوفا الأفغاني حيدر آباد: لجنة إحياء المعارف العثمانية د.ت 193/1

12 أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي: *الموافقات* تحقيق. أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان القاهرة: دار ابن عفان 1997 467/3

13 الشاطبي *الموافقات* 27/4.

14 الشاطبي *الموافقات* 258/1.

15 الشاطبي *الموافقات* 419/3.

الموضوع الواحد.[16]

(4) السياق اللغوي باعتبار اللغة الوسيلة التي يتجلى فيها الخطاب.[17]

(5) سياق المخاطب فالشارع عندما يخاطب قوما فإنه يخاطبهم من خلالهم ومن خلال معارفهم.[18]

ويمكن لهذا النقل عن الشاطبي أن يلخص نظرته لموضوع السياق : " المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل وهذا معلوم في علم المعاني والبيان؛ فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها لا ينظر في أولها دون آخرها ولا في آخرها دون أولها فإن القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله وأوله على آخره وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف."[19]

وبناء على ما تقدم يمكن تعريف السياق على أنه: "**ما يحيط بالنص من عوامل داخلية وخارجية لها أثر في فهمه من سابق أو لاحق به أو من حال المخاطب والمخاطب والغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه بالإضافة إلى الأدلة الأخرى التي ترتبط معه في نفس الموضوع**"[20] وإذا دققنا النظر يمكن من خلال هذا التعريف تقسيم السياق إلى: (1) **السياق الداخلي/ اللغوي** وهو: "السياق الذي تمثله بنية التراكيب اللغوية بأصواتها وكلماتها وجملها وعباراتها."[21] (2) **والسياقات غير اللغوية/المقامية** وهي ما تكون من خارج اللغة ولها علاقة بالزمان والمكان والمتكلم والظروف الزمانية والثقافية وأحوال المتكلم والمخاطب.[22] (3) **السياق الموضوعي**: وهو مكانة النص –آية أو حديث– في منظومة الأدلة التي تتعلق بنفس الموضوع.[23]

ثانيا: أهمية السياق

يمكن لنا أن نشبه السياق بالمسرح الذي يجرى فيه التصرف فكما أن المخرج المسرحي يعتني بوضع الأشياء وترتيبها والموسيقا المصاحبة لها وبحال الممثلين وما شاكل ذلك من التفاصيل لأن كل هذا يساعد على إدراك النص كذلك الحال في النص؛ إذ تشكل العناصر المحيطة بهذا الحدث عناصر تتفاعل مع بعض ومع النص لتعطيه بعدا يتجاوز حدود الألفاظ الظاهرة أو الفعل الظاهري إلى معان أخرى. وبناء على هذا فإن النص يتأثر بالمسرح المحيط وبعناصره المصاحبة له به وما يقال في مسرح معين قد يختلف إذا قيل في مسرح آخر ويمكن ضرب كثير من الأمثلة على ذلك من خلال حياتنا اليومية التي نعيشها فمثلا فعل

---

16 الشاطبي *الموافقات* 27/4.

17 الشاطبي *الموافقات* 166/2.

18 الشاطبي *الموافقات* 31/4.

19 الشاطبي *الموافقات* 266/4.

20 سعد الشهرستاني *السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة* الرياض: جامعة الملك سعود 1436 22.

21 صالح هزلة *السياق غير اللغوي في القرآن وأثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطية* الوادي: جامعة الشهيد حمه الخضر كلية الآداب واللغات 2014-2015 16.

22 صالح هزلة *السياق غير اللغوي في القرآن وأثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطية* 17.

23 Mehmet Görmez, *Sünnet ve Hadis Anlaşılması ve Yorumlanmasında Metodoloji Sorunu*, Ankara: Otto 2014, 359.

"أطلق" يختلف باختلاف المصاحبات السياقية اللغوية والاجتماعية لها؛ فـ"أطلق قدميه للريح" يختلف عن معنى "أطلق لحيته" وهما يختلفان عن "أطلقت الشرطة سراح المتهم". وكذلك يمكن التمثيل بقول الله تعالى: " ذق إنك أنت العزيز الكريم" فالنظر إلى ظاهر اللفظ بقطع النظر عن سياق الموضوع يجعل الآية مدحا لكن مع قراءة الموضوع وإدراك السياق ندرك أن الآية لم تساق للمدح بل إنما سيقت من أجل الذم والذي دل عليه هو سياق الموضوع من خلال النظر إلى السابق واللاحق[24]. وهكذا فإن السياق هو من المحددات الأولى للمعنى فـ"لا معنى لكلمة خارج سياق". أما السياق الموضوعي فإن أهميته تكمن في كونه وسيلة يتوصل بها إلى إدراك مكانة الحديث ضمن منظومة الأدلة الورادة في نفس الموضوع فلكي نفهم حديثا معينا لا بد من قراءته ضمن منظومة الأدلة الواردة في نفس الموضوع وفي ضوء المقاصد العامة لهذه المنظومة فلا يمكن إنشاء حكم بناء على نص مقتطع من منظومته.

المبحث الثاني: أقسام تصرفات النبي عليه الصلاة والسلام

لم ينظر بعض العلماء إلى تصرفات الرسول عليه الصلاة والسلام على أن كلها من باب التبليغ[25] بل حاولوا أن يصنفوها بناء على مُعطيات من أحاديثه ومن وقائع سيرته هذه المعطيات افترضت وجود مقامات للنبي يصدر عنها تصرفات مختلفة وبناء على ذلك قامت جهود في محاولة للتفريق بين هذه المقامات. وربما نرى بذور هذا التصنيف في عهد الصحابة[26] إذ نرى أن بعضهم يبحثون في مصدرية تصرفاته يُضاف إلى ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام صرح في بعض الأحاديث بما يؤكد على اختلاف حيثيات تصرفاته وأنه في بعض الأحوال يتصرف خارج إطار وظيفته التبليغية التي تقوم على الوحي والتي تتصف بالعصمة ومن هذه الأدلة: " إنما أنا بشر ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع"[27] وفي حديث آخر بين المقصد من تصرفه مشيرا إلى خروج تصرفه المذكور عن التبليغ؛ فلما اعترض البعض على إعطاء الرسول لأشخاص زيادة في الغنيمة قال: "والله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل وإن الذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ولكن أعطي أقواما للذين في قلوبهم من الشبع والجزع وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير"[28] فهذا الحديث بتصورنا مهم جدا لأنه يبين لنا أن الرسول وضع هو بنفسه تصرفَه في سياق وهو البحث عن المصلحة العامة وبهذا خرج تصرفه عن المقام التبليغي.ولعل أول من حاول أن يُنَظِّرَ لاختلاف تصرفات الرسول بناء على اختلاف المعطيات ابن قتيبة[29] وتطور هذا التصنيف مع بعض

---

[24] العز بن عبد السلام *الإمام في بيان أدلة الأحكام* 159.

[25] سعد الدين العثماني *التصرفات النبوية السياسية دراسة أصولية لتصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمامة* بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر 2017 ص. 29

[26] الطاهر بن عاشور: *مقاصد الشريعة* تحقيق. محمد بن الخوجة قطر: وزارة الأوقاف الإسلامية 2004 3/ 96 وسعد الدين العثماني: *التصرفات النبوية السياسية* ص. 32

[27] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري *الجامع الصحيح* نشر. محمد زهير ناصر بيروت: دار طوق النجاة 1422 "المظالم" 17 (2458).

[28] البخاري *الجامع الصحيح* "فضل الجمعة" 25 (923).

[29] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة *تأويل مختلف الحديث* بيروت: المكتب الإسلامي 1999 ص. 283

الفقهاء المالكيين كالقرافي حيث قسم تصرفات الرسول إلى ثلاثة أقسام قسم التبليغ والقضاء والإمامة[30] ووضع لكل قسم من أقسام هذه التصرفات مقاصد وأهداف وبين أن التصرفات غير التبليغية لا يجوز الإقدام عليها إلا بإذن الإمام أو القاضي. وقسم البعض تصرفات الرسول إلى تصرفات تشريعية وغير تشريعية فالسنة التشريعية هي ما قام بها النبي صلى الله عليه وسلم بقصد التبليغ لأمته أما القسم الثاني فهي ما فعلها النبي ليس بقصد التشريع[31]. أما الدكتور سعد الدين العثماني فقد استفاد من كل هذه التقسيمات وارتأى تصنيفا نعتقد أنه واسع وشامل وهو على الشكل الآتي[32]:

تصرفات تشريعية وهي التصرفات التي قام بها النبي في الجانب التشريعي وهي إما أن تكون:

(1) تصرفات بالتشريع العام والمقصود بالتشريع العام إبلاغ الجميع وهي على قسمين: (أ) التصرفات بالتبليغ أو الرسالة (ب) التصرفات بالبيان

(2) تصرفات بالتشريع الخاص وهي تصرفات خاصة ترتبط بمصالح وزمان وشروط معينة ونطالع فيها:(أ) التصرفات بالقضاء (ب) التصرفات بالإمامة (ج) تصرفات خاصة

تصرفات غير تشريعية وهي (أ) تصرفات جبلية (ب) تصرفات عادية (ح) تصرفات دنيوية (د) تصرفات إرشادية (ر) تصرفات خاصة به.

المبحث الثالث: ربط الحديث بسياقه ودوره في الكشف عن نوعية تصرف النبي.

أولا: ربط الحديث بسياقه الدوافع والضرورات

إن تحديد مسرح النص وسياقه أداة مهمة في التعامل مع النصوص الدينية بشكل خاص. ويبرز دور السياق في فهم الأحاديث وتأويلها مع نصوص الحديث بشكل خاص؛ حيث أن في بعض أحاديث الرسول ما يصح اعتباره مما يتصل بطبيعته البشرية[33] وبعضها بالتبليغية وبناء على ذلك فلا يمكن الاحتجاج بحديث قبل فهم مقاماته وسياقاته وظروفه[34] ووضعها ضمن علاقاتها التاريخية والاجتماعية والثقافية إضافة إلى البحث عن المقاصد المبتغاة منه. وبرأينا فإن إدراكَ العلماء لاختلاف الظروف التي أحاطت بكل حديث إضافة إلى ما قد يظهر من اختلافات بين الأحاديث في الموضوع الواحد شكل دافعا للبحث عن تصنيف لتصرفات الرسول ووضعها ضمن إطار عام. والبحث في السياق بتصورنا يهدف إلى إدراكُ الطبيعة العامة للتصرفات النبوية ومحاولة الخروج بصورة كلية مقاصدية تنتظم في داخلها التصرفات النبوية أي إن الاتجاه إلى السياق يهدف من جهة إلى رسم صورة عامة لتصرفات النبي من جهة ومن جهة أخرى لحل بعض

---

[30] أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي القرافي *أنوار البروق في أنواء الفروق* بيروت: عالم الكتب د.ت 205/1.

[31] سليم العوا وآخرون: *السنة التشريعية وغير التشريعية* مصر: دار نهضة مصر 2001 59.

[32] العثماني: *التصرفات النبوية السياسية* ص. 49.

[33] حيث نجد في بعض الأحاديث إشارة إلى أنه صرح بأنه يتصرف بناء على صفته البشرية.

[34] Salahattin Polat, *Hadis Araştırmaları*, İstanbul: İnsan Yayınları, 2015, 283 – 284; Adem Apak, *Kuran'ın Geliş Ortamında Arap Toplumu*, İstanbul: KURAMER, 2017,13

إشكالات التأويل في الحديث النبوي. هذه الإشكالات قد تتبدى بصورة الاختلاف بين الحديث وبين القرآن أو بين الحديث وبين أحاديث أخرى أو في البحث عن عِلِّيَّة الحديث حيث يشكل السياق أداة مهمة في حل الاختلافات عبر تحديد اختلاف المقامات وفي تحديد العلية حيث يساعد السياق في تحديد السبب والدافع.

وقد لاحظ العلماء ضرورة ربط الحديث بسياقه وذلك من أجل إظهار الوحدة بين أجزاء الشريعة؛ حيث يقول الشافعي: "ورسول الله عربي اللسان والدار فقد يقول القول عاما يريد به العام وعاما يريد به الخاص... ويسأل عن الشيء فيجيب على قدر المسألة ويؤدي عنه المخبر عنه الخبر متقصى والخبر مختصرا والخبر فيأتي ببعض معناه دون بعض ويحدث عنه الرجل الحديث قد أدرك جوابه ولم يدرك المسألة فيدله على حقيقة الجواب بمعرفته السبب الذي يخرج عليه الجواب. ويسن في الشيء سنة وفيما يخالفه أخرى فلا يخلص بعض السامعين بين اختلاف الحالين اللتين سن فيهما ويسن سنة في نص معناه فيحفظها حافظ ويسن في معنى يخالفه في معنى ويجامعه في معنى سنة غيرها لاختلاف الحالين فيحفظ غيره تلك السنة فإذا أدى كل ما حفظ رآه بعض السامعين اختلافا وليس منه شيء مختلف."[35] إن هذا الكلام من الإمام الشافعي يصور لنا بوضوح موضوع اختلاف السياقات فالرسول يخبر عن نص بلفظ عمومي لكن السياق – وليس السبب- يقتضي خصوصيته كما أنه يشير في نصه إلى مشاكل غياب السياق أثناء عملية النقل فالراوي قد يروي الحديث بعيدا عن سؤاله وهذا يسبب غياب معرفة الهدف/المقصد كما يشير إلى مشكلة غياب السياق الموضوعي أي جمع الأحاديث الواردة في الباب. حيث تعرض الشافعي لمثال في هذا الموضوع في رسالته تحت عنوان: " النهي عن معنى دل عليه معنى في حديث غيره"[36] وذكر فيه حديث النهي عن خطبة الأخ على أخيه مع حديث استشارة فاطمة بنت قيس في الذين جاؤوا لخطبتها فبين الشافعي أن النهي في الحديث الأول " لا يخطب الرجل" كان جوابا لسؤال ولكن هذا السؤال لم ينقل إلينا. وهكذا حاول الشافعي أن يوجد سياقا بالاستعانة بدلالة الحديث الآخر الوارد في الموضوع نفسه والنتيجة أن النهي ليس نهيا تبليغيا إنما نهي جاء على سؤال ولا بد أن السؤال مرتبط بحالة خاصة غير تبليغية.

ويؤكد الطاهر بن عاشور على الانتباه إلى مشكلة غياب السياق في فهم النصوص بقوله: " ومن هنا يُقَصِّرُ بعض العلماء ويتوحّل في خَضخاض من الأغلاط حين يقتصر في استنباط أحكام الشريعة على اعتصار الألفاظ ويوجّه رأيه إلى اللفظ مقتنعاً به فلا يزال يقلّبه ويحلّله ويأمل أن يستخرج لُبّه. ويهمل ما قدمناه من الاستعانة بما يحفَ بالكلام من حافات القرائن والاصطلاحات والسياق. وإنّ أدق مقام في الدلالة وأحوجه إلى الاستعانة عليها مقام التشريع." وفي موضع آخر في تفسيره بين أن على العالم أن

[35] الشافعي: *الرسالة* 213.
[36] الشافعي *الرسالة* 306 وما بعدها.

يدرك الفرق بين مقامات النصوص[37] إن هذين النصين يمثلان دليلا قويا لضرورة موضوعنا من أجل وضع خارطة واضحة المعالم لتصرفات الرسول والتفريق بين مقاماتها وسياقاتها.

لكن تحديد سياق لحديث ليس بالأمر الهين وخصوصا بعدما عومل كل حديث على أنه أصل بحد ذاته يضاف إلى ذلك أن الحديث – كما بين الشافعي- قد نقل إلينا بلفظه دون ما كان يحيط به ودون أسباب الورود كما أن بعض من تصرفات الرواة كالرواية بالمعنى والاختصار والتقطيع أدت إلى غياب السياق[38] وهذا بالتالي وضع الباحث أمام تحد كبير أثناء عملية الفهم والتأويل لكن هذا لم يمنع من وجود جهود ولو كانت ضئيلة في شروح الحديث في الإشارة إلى سياقات الحديث حيث يمكن أن يرى الباحث بعض الإضاءات وخصوصا في كتب الشروح عندما تشير إلى كون التصرف واقعة عين ومعنى ذلك أن التصرف خاص غير عام وهو محكوم بسياق خارج إطار التشريع العام[39]

ثانيا: قرينة السياق ودورها في تحديد نوعية تصرف النبي

بينا سابقا أن اختلاف السياقات والظروف المحيطة بالحديث كانت من الدوافع التي أدت إلى محاولات تصنيف السنة النبوية وفق تصنيفات قد تختلف في الشكل ولكنها متفقة على النظر إلى تصرفات الرسول على أن بعضها يحمل طابع العموم والإلزام وبعضها لا يحمل هذا الطابع. وهنا يظهر قرينة السياق في بيان قصد العموم أو الخصوص؛ حيث تتولى قرينة السياق تحديد نوعية التصرف النبوي من خلال تحديد المسرح الذي جرى فيه الحديث وإعادة رسم الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي جرى فيها الحديث والسبب في ذلك أن النص النبوي لا يجري في فراغ بل يجري ضمن متلق/سائل وضمن مقطع زمني بكل ما يحويه من تاريخ وثقافة وارتباطات. لذلك فإن تثبيت السياق ومحاولة إعادة رسم مسرح النص قرينة مهمة لفهم المقام الذي صدر منه التصرف النبوي.

إن الفرق بين أنوع التصرف النبوي هو قصد العموم من عدمه[40] فالتصرفات الصادرة من مقام التبليغ تقتضي العموم بخلاف التصرفات الأخرى الصادرة من المقامات الأخرى التي لا تقتضي العموم؛ فتصرفات الإرشاد وأمور السياسة وقضايا الإثبات في القضاء وما يشابهها بها وسائل خاضعة لظروفها وهي بالرغم من كونها موجهة لتحقيق مقاصد عامة فإنه لا يصح القول بأن الأفعال مقصودة لذاتها بخلاف الأفعال التي جاءت في سياق التبليغ. والباحث في تأويل الحديث وفهمه عليه أن يلاحظ الارتباطات التي وجدت في الحدث ليدرك عمومية الخطاب من خصوصيته. وزيادة في التفصيل رأينا أن السياقات التي تفرض خصوصية الخطاب النبوي والتي تشير في نفس الوقت إلى مسرح الخطاب النبوي ومقاماته على الشكل الآتي.

---

37 محمد بن الطاهر عاشور: التحرير والتنوير تونس: الدار التونسية 1984 273/1.

38 Nurullah Agitoğlu, *Hadis ve Bağlam*, İstanbul: Kitâbî, 2015, s.197.

39 انظر مثلا: أحمد بن علي ابن حجر: *فتح الباري شرح صحيح البخاري* بيروت: دار المعرفة 1379 61/1 537/1 171/2 408/2.

40 القرافي: *الفروق* 206/1.

أولا: سياق خصوصية المخاطب

إن الرسول عليه الصلاة والسلام كما يوجه خطابه للناس مبلغا عن الله يتحدث مع مخاطب/مخاطبين لحل مشكلة معينة تتعلق بهم وفي هذه الحال قد يكون هناك احتمالية لكون تصرف النبي عليه الصلاة والسلام مرتبطا بخصوصية/سياق المخاطب أي يمكن أن تصرفه من قبيل الإرشاد وليس من قبيل التبليغ ويمكن أن نمثل لهذا بالأحاديث التي فيها يسأل السائل "أي العمل أفضل" حيث نرى أنها تحوي أجوبة مختلفة[41] وهذا برأينا راجع لاختلاف سياق المخاطب وخصوصيته ولذلك يمكن عد مثل هذه الأحاديث من الأحاديث التي تصرف فيها النبي يناء على وظيفته الإرشادية. ومن المهم أيضا عند البحث في تأويل الحديث والبحث عن مقامه التأكد من كتلة المخاطبين؛ أي هل وجه الرسول للعامة أم لشخص[42] ففي المثال الذي سقناه سابقا كان المخاطب واحدا وهذا قد يعد قرينة على سياق إرشادي بخلاف ما لو كان المخاطب جمعا إذ يشكل توجيه الخطاب للعموم برأينا سياقا يدل على عمومية التبليغ؛ فخطاب الرسول الناس من على المنبر في يوم الجمعة أو في أوقات الصلاة يمكن النظر إليهما على أنهما قرينة سياقية على كون الخطاب خطابا تبليغيا. وفي حديث رواه أحمد وغيره كان النبي يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد. فقال له عمر: يا رسول الله إنك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال: " عمدا فعلته يا عمر" فيوم الفتح يوم اجتمع المسلمون وكلهم يلاحظون تصرف النبي فعمومية الخطاب واضحة من خلال توجيه الخطاب لجمع والسياق سياق تبليغي.

من ناحية أخرى فإن معرفة خلفيات المخاطب الثقافية سياق مهم لمعرفة مقامات بعض تصرفات النبي حيث نلاحظ أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يلاحظ حال هؤلاء الأعراب ويوجهم حسب خلفياتهم ففي بعض الأحاديث طلب النبي من أعرابي زيادة على شروط الإسلام والإيمان صلة الرحم[43] وهذا الطلب يفهم في سياق كون الأعراب قد يقطعون صلة الرحم لعدة اعتبارات فأرشده النبي إلى صلة الرحم إضافة إلى شروط الإسلام والإيمان اعتناء بسياقه الثقافي الخاص.

ثانيا: سياق كون مشروعية التصرف مرتبطة بتحقيق مصلحة ما

إن من أهم الأمور التي لا بد منها في فهم الحديث من جهة وفهم المقام الصادر منه تعيين الهدف من التصرف النبوي؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام قد يشرع أمرا لكونه لاحظ أنه يحقق في ذلك الوقت هدفا مشروعا وهو عندما يشرع مثل هذا الأمر فإنه لا يقصد تشريعه عموما ولكن يقصد تشريعه لكون وسيلة إلى

---

41 انظر مثلا: أحمد بن حنبل *المسند* تحقيق. شعيب الأرناؤوط وغيره بيروت: مؤسسة الرسالة 2001 450/14 (4243) و 350/29 (17814).

42 Agitoğlu, *Hadis ve Bağlam* , s.177. Görmez, *Sünnet ve Hadis Anlaşılması ve Yorumlanmasında Metodoloji Sorunu, s.* 362.

43 الحديث بتمامه: أن أعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته ثم قال: يا رسول الله أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار قال: فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر في أصحابه ثم قال: «لقد وفق أو لقد هدي» قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة» مسلم الصحيح "الإيمان" 4 (13).

المقصد العام. ولذلك فإن مما يجب على الباحث في تأويل الحديث أن ينظر إليه هو المقصد التي راعاه النبي عليه الصلاة والسلام في تشريعه هذا الأمر ويدرس مدى صلاحيته لتحقيق هذه المقاصد وفي حال ثبت أن التصرف لم يعد يحقق المقصد عرفنا بأن التصرف لم يكن في إطار التبليغ العام بل كان من التصرفات المرتبطة بالمصلحة العامة. ويمكن التمثيل أيضا بفهم الحنفية لحديث من قتل قتيلا فله سلبه حيث بينوا أن هذا التصرف يكون مشروعا عندما يكون وسيلة للتحريض على القتال[44] وبناء على هذا فهذا التصرف لم يكن من التصرفات التبليغية بل هو تصرف مرتبط بتحقيقه للمقصد. وبما أن المسرح كان مسرح الحرب فالنبي تصرف بناء على وظيفته السياسية.

كما يمكن النظر إلى بعض الأحاديث التي تنهى عن التشبه في هذا السياق أي على أنها موجهة لتحقيق هدف وهي بالتالي تصرفات غير عامة؛ حيث نلاحظ أن الرسول شرع كثيرا من الأمور هربا من التشبه كالأمر بصبغ الشيب والهدف عدم التشبه بالكفار وقد لفت سياق هذا الأمر ابن حبان حيث ترجم لهذا الحديث في صحيحه:" ذكر الأمر بتغيير الشيب إذا كان أهل الكتاب لا يغيرونه وروى حديث «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى فكلام ابن حبان برأينا واضح على كون التصرف النبوي ليس من مقام التبليغ بل إنما هو مرتبط بحالة اجتماعية معينة لتحقيق مقصد اجتماعي مرتبط بالهوية الدينية.

ثالثا: ارتباط الحديث بسياق مشكل فرضته البيئة الثقافية والاجتماعية[45]

إن تصرفات النبي في جزء منها جاءت كحل لمشاكل في مجتمعه –بناء على كون المسؤول والإمام– وهذه التصرفات هي بطبيعة الحال مرتبطة ارتباطا عضويا بسياقها التي فرضها فإن رأينا في حديث ما توجهاً من الرسول عليه الصلاة والسلام لحل مشكلة معنية فإننا ندرك خروج هذا التصرف عن سياق التبليغ ودخوله في سياق الإرشاد العام وذلك لأنه موجه في الأصل لحل هذا الإشكال وارتباط الحل بمشكلته يفرض نوعا من الخصوصية ويمكن أن نضرب مثالا لذلك بـ:" تحريم تخزين لحوم الأضاحي "و"غسل يوم الجمعة" فالرسول أراد في الحديث الأول حل مشكلة اقتصادية[46] – وفي الحديث الثاني أراد حل مشكلة اجتماعية متعلقة بقضية صحية والذي دلنا على هذه السياقات كما ورد روايات الأحاديث الأخرى[47].

وكون الحديث قد يرد في سياق إشكال ثقافي/اجتماعي يحتم على الباحث أن يحدد أحوال المخاطبين الثقافية والاجتماعية والدينية حتى يستطيع فهم الحديث ونوعية التصرف فيه فمثلا حث النبي عليه الصلاة والسلام كثيرا على صلاة العصر ومن أجل فهم هذا الاهتمام يجب النظر في الأحوال

---

44 أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الطحاوي *شرح معاني الآثار* تحقيق. محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق بيروت: عالم الكتب 1994 227/3.

45 Agitoğlu, *Hadis ve Bağlam* ,179; Ahmet Keleş, *Sünnete Yeni Bir Usul Denemesi,* İstanbul, İnsan Yayınları, 2015), 111.

46 Görmez: *Sünnet Ve Hadis Anlaşılması Ve Yorumlanmasında Metodoloji Sorunu,* 367.

47 حيث بين ابن عباس سياق الحادثة ومقصد الرسول انظر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر *الاستذكار* تحقيق. سالم محمد عطا محمد علي معوض بيروت: دار الكتب العلمية 2000 14/2.و انظر: *Görmez: Sünnet Ve Hadis Anlaşılması Ve Yorumlanmasında Metodoloji Sorunu,* 386.

الاجتماعية حيث يعد هذا وقت العصر وقت راحة في بلاد شديدة الحرارة مما قد يؤدي إلى ارتفاع الحرارة وهذا قد يؤدي إلى انشغال الناس عن صلاة العصر. وبناء على ذلك فالأحوال الاجتماعية التي كانت في سياق هذا الحديث تدل على أن تصرف النبي ينصب في إطار التصرفات التشريعية الإرشادية الخاصة وذلك لأنها موجهة لحل هذه المشكلة[48].

رابعا: كون الحديث واردا في سياق سبب/حادثة خاصة

إن من أهم الأمور المهمة في تأويل الحديث وفهم مقامها تثبيت الحوادث التي كانت سببا في وروده وقبل أن نطلق الحكم بأن "العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب" لا بد من دراسة أسباب الورود في ضوء ارتباطاتها بالواقع وبالمقاصد التي يريدها الرسول عليه الصلاة والسلام من تصرفة التي جاء بناء على السبب[49]؛ وقد بين الشاطبي أن السلف لم يبنوا فقهمه بناء على صيغ العموم وإنما فهموها بناء على سياقاتها وارتباطتها بحوادثها وضرب أمثلة لذلك[50] وبناء على ذلك فإن كان السبب يقتضي الخصوص لارتباطه بتحقيق مقصد خاص فالعبرة حينئذ لخصوص السبب وتصرف النبي في تلك الحادثة تصرف خارج عن سياق التبليغ وسبب الورود الذي هو قرينة من قرائن السياق[51] قد يرجح عموم اللفظ أو خصوص السبب من خلال دراسة الحادثة في ضوء مسرحها؛ فمثلا أشار ابن حجر إلى أن بعض العلماء قد حاولوا فهم حديث: " تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي" في ضوء سبب الورود وهو أن رجلا نادى رجلا بالسوق بأبي القاسم فالتفت النبي ظانا أنه يريده ولما بين الرجل أنه يقصد رجلا آخر فقال الرسول ما قاله لمنع هذا الاختلاط وعلى ذلك فسياق الحادثة عند من قرأ سياق الحديث بهذا الشكل خاص ولا يقصد منه العموم.[52] ولا يقال بأن العبرة عموم اللفظ لأن سياق الواقعة والمقصد رجحا خصوص السبب.

خامسا: ارتباط الحديث بسياق عرف ثقافي اجتماعي

إن الرسول عليه الصلاة والسلام كإمام ورسول يخاطب الناس بما يعقلونه وبما ألفوه وكان يراعي الأعراف السائدة في عصره ويستخدمها كأصول مقبولة من الجميع؛ فهو كان في مكة يكثر من استخدام التمثيل بحمر النعم وذلك لارتباط حمر النعم بسياق ثقافي منتشر في مكة لكن لما هاجر إلى المدينة بدأ باستخدام التمر في كثير من الأمور الدينية والاجتماعية وذلك لارتباط التمر بسياق ثقافي مقبول بين أهالي المدينةِ المشهورةِ بزراعة التمر وهذا مما يحتم على الباحث إدراك ارتباطات الحديث بالأعراف السائدة آنذاك في مكة والمدنية[53] فإن كان الحديث يشير إلى ذلك الخصوص وجب أخذ هذا الخصوص بعين

---

[48] Görmez:, *Sünnet Ve Hadis Anlaşılması Ve Yorumlanmasında Metodoloji Sorunu*, 370.

[49] طارق أسعد حلمي الأسعد: *علم أسباب ورود الحديث وتطبيقاته عند المحدثين والأصوليين* بيروت: دار ابن حزم 2001 22.

[50] الشاطبي *الموافقات* 40/4.

[51] الأسعد: *أسباب ورود الحديث* 47.

[52] ابن حجر: *فتح الباري* 572/10

[53] Özcan Kemal. "Hadislerin Anlaşılmasında Bağlamın Önemi". *Çukurova Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* (ÇÜİFD) 14 / 2 (Kasım 2015),171.

الاعتبار ومراعاته عند فهم الحديث وتأويله ومحاولة فهم مقام النبي في الأحداث التي ترتبط بسياقات ثقافة محلية ونضرب مثلين هنا يصوران ارتباطات الحديث الثقافية والاجتماعية فحديث "الوزن وزن أهل مكة والمكيال مكيال أهل المدينة" مرتبط بسياقه الثقافي الخاص؛ حيث نبه البعض إلى ارتباط هذا المعيار بما كان سائدا ذلك الوقت حيث الجميع يعترف بهذا المقدار فهنا النبي لم يرد أن ينشئ مكيالا عالميا ولكنه خضع هنا كقائد اجتماعي للأعراف السائدة والتي لا تصادم نصا شرعيا[54]. من ناحية أخرى قد أشار ابن خلدون إلى أن حديث الأئمة من قريش يفهم في إطار ارتباطه بسياقه الاجتماعي حيث راعى النبي ما كان لقريش من مكانة عند القبائل وأنهم القادرون بما لهم من طاعة على الآخرين على تدبير الأمور[55] وبالتالي فلم يُقصد منه التبليغ العام ومسرح الحديث من جهة أخرى يؤيد ما قاله ابن خلدون.[56]

ثالثا: مسالك الكشف عن السياق. مما سبق نرى أن السياق يقوم بوظيفة مهمة في قضية تحديد عمومية الحديث وبالتالي صدوره عن مقام التبليغ أو كونه صادرا في إطار خصوصية أزمانية أو مكانية أو فردية أو كونه حلا لإشكال ثقافي ومما يساعد على اكتشاف كون الحديث واردا في سياق غير تبليغي:

تصريح الرسول عليه الصلاة والسلام بذاته بسياق تصرفه كما ورد في بعض القضايا.

تعامل الصحابة وبشكل خاص تعامل عمر رضي الله عنه يستطيع أن يرسم المنهج العام لتعامل الرسول مع الأحداث المختلفة.

رجوع النبي عن بعض التصرفات فهو لم يحرق بيوت من لا يحضر الجماعة وهذا دليل على أن تصرفه لو كان تبليغيا لما عدل عنه.

مراجعة الصحابة له كما حدث في غزوة الخندق وفي أسارى بدر فهذه المراجعة تعد دلالة واضحة على كون الصحابة مدركين كون التصرف النبوي خارج إطار التبليغ.

اختلافات تصرف النبي في بعض المواضيع فهذه الاختلافات تشير إلى اختلافات السياقات[57]

محاولة إعادة إنشاء المتن بألفاظه عبر جمع الروايات والنظر إلى ألفاظها والخروج بأفضل متن –ثابت- يشمل على عناصر المسرح الذي جرى فيه الحديث.[58]

عرض الأدلة على بعضها وتثبيت الصورة الكلية للأدلة في الموضوع الواحد فالحديث النبوي يحمل خاصية الكلية[59] والأحاديث النبوية ولو نقلت إلينا أجزاء إلا أنها تقدم إلينا صورة كاملة عن الموضوع الواحد وكما أنه لا يجوز استنباط حكم ما من آية دون النظر إلى الآيات الآخرى فكذلك لا بد من النظر

---

54 Aslan, "Sünnetin Günümüze Taşınması" 354.

55 عبد الرحمن بن محمد بن محمد *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر* تحقيق. خليل شحادة بيروت: دار الفكر 1988 242/1.

56 حيث جرى الحديث عندما رأى الرسول مجموعة من الناس من قريش

57 العثماني *التصرفات النبوية السياسية* 231.

58 Görmez: *Sünnet Ve Hadisin Anlaşılması Ve Yorumlanmasında Metodoloji Sorunu,* 360.

59 Polat: *Hadis Araştırmaları,* 282. Selçuk Coşkun,: *Hadiste Bütüncül Bakış,* (İstanbul: M.Ü. İlahiyat Fakültesi Vakıf Yayınları, 2014), 31.

في بقية منظومة الأدلة التي تشترك في نفس الموضوع وقراءتها في ضوء مقاصد هذه المنظومة[60]. فإن وجدنا حديثا خارجا عن مقاصد هذه المنظمة يمكن عد هذا الخروج قرينة على كون الحديث واردا في سياق غير تبليغي والذي دلنا على ذلك سياق منظومة الأدلة. وقد طبق نقاد الحنفية الأوائل كالطحاوي وغيره هذ المنهج حيث كانوا يحاولون فهم الحديث بناء على عرضه على الأحاديث الأخرى الواردة في نفس الموضوع[61].

تحديد المجال فالتصرفات بالتشريع الخاص والتي لا يقصد منها العموم تكون أكثر في مجال القضاء ومجال السياسة وعندما نضع الحديث في مجاله يسهل علينا الكشف عن السياق[62].

فهم الأحاديث ذات السياق الخاص في ضوء كون النبي قدوة

هذا الموضوع مهم ذلك أن الرسول في كل تصرفاته قدوة لأنه دائماً في رعاية الوحي الذي ينبهه كما وقع في قضية أسارى بدر وغيرها وتقفي الصحابة لأفعاله وأحواله إنما يجب أن يقرأ في ضوء إيمانهم بكونه قدوة. لكنه من المعلوم أيضا أن ثمة اختلاف في مقاربات الاقتداء بدءاً من عهد الصحابة ففي حين أن بعضهم ركز في الاقتداء به على الجانب الظاهري في أفعاله ركز البعض الآخر على الجانب المقاصدي.

وفي ضوء هذا الاختلاف نطرح السؤال التالي: هل هذه الأحاديث التي وردت في سياق خاص خارجة عن دائرة الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام وإن أجبنا بالإيجاب فسنطرح السؤال المنهجي التالي: ما منهجية الاستفادة من تصرفات النبي عليه الصلاة والسلام والتي رُجِّحَ بالدليل أنها صدرت عن الرسول من خارج إطار التبليغ العام والمباشر؟ إن المنهج الظاهري في الاقتداء والذي يركز على أفعال النبي عليه الصلاة والسلام من ناحيتها الظاهرية يغفل مقاصد الأحاديث وسياقاتها وهذا يلغي إمكانية نقل الحديث إلى عصرنا لأن الحديث محكوم بسياقه الخاص ولذلك بتصورنا لا بد من منهج يقوم على درس الحديث/الأحاديث وفق مقاصدها حتى يطبق مقصده وللوصول إلى مقاصد هذه الأحاديث لا بد من قراءتها قراءة كلية في ضوء علاقتها مع سياقاتها ومع بقية الأدلة ثم فهمها في ضوء هذه العلاقة للانتقال إلى تقعيدها وفق مقاصدها وفي ضوء هذا فإننا نرى أن من المهم النظر إلى هذه الأحاديث ذات السياق الخاص في ضوء مقاصدها وفي ضوء الأهداف المبتغاة منها.

من طرف آخر فإننا نرى أن هناك نقاط مشتركة بين هذه الأحاديث وهذه النقاط تعكس لنا سنة عامة أو لنقل منهجاً عاماً من الرسول عليه السلام في التعامل مع القضايا ذات البعد الخاص كأمور الإدارة والقضاء والحرب وهذا المنهج العام هو سنة يجب اتباعها ونستطيع تلخيص هذه السنن على الشكل التالي: (أ) فهم

---

60 Coşkun, *Hadiste Bütüncül Bakış,* 42; Görmez, *Sünnet Ve Hadis Anlaşılması Ve Yorumlanmasında Metodoloji Sorunu,* 361 -362.

61 محمد صديق "جهود نقاد الحنفية في إنشاء مدونة حديثية" *IV. Uluslararası Şeyh Şa'bân-ı Veli Sempozyumu,* ed. İyhâb en-Necmî vd. (Kastamonu: Kastamonu Üniversitesi Yayınları, 2017), III/ 275.

62 العثماني: *التصرفات النبوية السياسية* 385.

الواقع وحل المشكلات بما يتناسب معه. (ب) مراعاة الفروق الفردية وحال المخاطب. (ج) التدرج في حل المشاكل ذات الطابع الاجتماعي. (د) وضع آليات متناسبة مع السائد.

وعلى هذا فإن هذه الأحاديث في هذه المواضيع تعكس لنا منهجا مهما من رسول تمتع بوظائف القائد والقاضي والمرشد والمربي.

المبحث الرابع: الدراسة التطبيقية

في هذا الفصل سنعرض لحديث: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله "

أولا: سياق الحديث الزماني/المكاني أو محاولة إعادة بناء المسرح

للحديث روايات كثيرة تعرض بعضها للإشارة إلى مسرح الحادثة وبعضها لم يتعرض وبعد البحث خلصنا إلى أن للحديث هذه المسارح:

المسرح الأول: غزوة خيبر فعن أبي هريرة أن النبي قال يوم خيبر: «لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله فيفتح عليه» .... فلما كان من الغد دعا عليا فدفعها إليه فقال: قاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عز وجل عليك فسار قليلا ثم قال: يا رسول الله على ما أقاتل؟ قال: " حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله [63]

المسرح الثاني: غزوة وادي القرى فعن عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين قال: أتيت النبي وهو بوادي القرى وهو يعرض فرسا فقلت: يا رسول الله بما أمرت؟ قال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله , فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " , قلت: يا رسول الله فمن هؤلاء الذين نقاتل؟ قال: " هؤلاء اليهود المغضوب عليهم وهؤلاء النصارى الضالون"[64]

المسرح الثالث: في خيمة في المدينة: فعن أوس الثقفي أنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف فكنت معه في قبة فنام من كان في القبة غيري وغيره فجاء رجل فساره فقال: «اذهب فاقتله» فقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قال: إنه يقولها تعوذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر كلمة معناها يعني ذره ثم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها حرمت دماؤهم وأموالهم إلا بحقها»[65]وفي بعض الروايات وردت هذه الزيادة: " فتلا رسول الله "فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر."

إن هذه المسارح الثلاثة توضح لنا أن الحديث لم يرد ابتداءً إنما ورد بناء على حوادث/أسباب؛

---

[63] أحمد بن حنبل *المسند* تحقيق. شعيب الأرناؤوط وغيره بيروت: مؤسسة الرسالة 2001 450/14 (8990).

[64] أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي *السنن الكبرى* تحقيق. محمد عبد الجليل العطا بيروت: دار الكتب العلمية 2003 "أبواب الأنفال" 22 (12931).

[65] أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي *السنن* تحقيق. عبد الفتاح أبو غدة حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية 1986"تحريم الدم" (3982).

فالروايتان الأوليتان تشيران إلى كون الحديث قد جاء في سياق الحرب والدفاع عن النفس[66] أما الحديث الثالث فهو ملفت للنظر لأن النبي عليه الصلاة والسلام أذن بقتل رجل لم يذكر جرمه لكن لحاق الحديث –برأينا– قد رسم صورته؛ فهو رجل يقر بالشهادة ولكنه يقولها تعوذا كما ورد في بعض الروايات[67] وبناء على ذلك فهو إما منافق يريد أن يقوم بفتنة داخل المدينة وإما رجل محارب قُبض عليه فقال الشهادة خوفا من قتله وهذا يظهر أن المسرح الثالث أيضا متفق مع المسرحين الأوليين وهكذا يمكن لنا القول بأن جميع المسارح متفقة على أن السياق الزماني والمكاني للحديث زمان حرب ومكانها وأن الحديث ورد بهدف الدفاع عن النفس ورد المحاربين.

ثانيا: الكشف عن سياق الحديث بعرضه على بقية تصرفات النبي

من أجل فهم الحديث الذي بين أيدينا فإنه يجب أن ننظر إلى تصرفات الرسول في قضية التعامل مع الكفار – المشركين/أهل الكتاب- ونطرح السؤال التالي هل كان منهج الرسول في التعامل مع الكفار قائما على "القتال حتى يسلموا" أم ثمة منهج آخر؟ فيما يتصل بهذا الموضوع تظهر المقارنة أن الرسول لم يكن دائما يأمر بقتال الناس حتى يؤمنوا حيث هناك عدة وقائع في حياته تؤيد ذلك؛ فهو لم يقتل ثمامة عندما وقع أسيرا بل إنه أطلقه ومَنَّ عَليه[68] إضافة إلى أن كتب السيرة تشير إلى أن النبي في غزوة خيبر اتفق مع آخر المتبقين في حصون خيبر على إنهاء الحرب وجلاءهم ولم يقتلهم ولم يجبرهم على دفع الجزية[69]. فهذه الحادثة وغيرها تدل على أن منهج النبي مرتبط بالمصالح التي كان يقدرها. ولقد أشار ابن تيمية إلى مبدأ أساسي في تصرفات النبي حيث قال: "كانت سيرته أن من سالمه لم يقاتله" [70] وهذا التقييم من ابن تيمية مهم لأنه توصل إليه من استقراء التصرفات العامة له أما ابن قيم الجوزية الذي وافق ابن تيمية فانطلق من قول الله " لا إكراه في الدين وبين أن الرسول لم يكن يكره أحد على الإسلام إنما كان يحارب من كان يحاربه[71] فكلام العلماء يصب في أن علة الجهاد هي المحاربة وليس القتال وهذا ما يؤكه سياق الحديث ومسارحه. وهذا يدل على أن الحديث في ضوء منظومة الأدلة المتعلقة بموضوعه كان خاصا وهذا يفترض سياقا غير تبليغي. **سياق الحديث الداخلي واللغوي** في هذا السياق سنلاحظ ألفاظ الحديث وبعض ما يتعلق بسباق – لحاق الحديث

أشرنا إلى أنه ورد في بعض الروايات أن النبي تلا في آخر الحديث قول الله " فذكر إنما أنت مذكر

---

66 غزوة خيبر غزوة ضد اليهود الذين حاربوا الرسول ونصبوا له العداء وحاولوا قتله وكذلك الحال في وادي القرى انظر: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون بيروت: دار الكتب العلمية1427 3/86.

67 أحمد *المسند* 81/26 (16160).

68 مسلم بن الحجاج *صحيح مسلم* تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة: مطبعة بابي الحلبي 1955 "الجهاد والسير" 19 (1764).

69 علي بن إبراهيم *السيرة الحلبية* 61/3.

70 أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية *قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد* كفرهم تحقيق. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد (2005 95.

71 محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزرية *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى* تحقيق. محمد أحمد الحاج جدة: دار القلم 1996 237.

لست عليهم بمصطير" وفي رأينا أن تلاوة هذه الآية سياق مهم فهي إشارة إلى أن حدود وظيفته التبليغ أما ما جاوزها من المقاتلة فهي خاضعة لضروراتها. يعني أن أمر الرسول بقتل الرجل خارج عن الوظيفة التبليغية وأن هذا الأمر خاضع لمقتضياته وضروراته.

كما ورد في الحديث وفي كل الروايات التي راجعناها أن الرسول استخدم فعل " قاتل" الذي هو من المقاتلة التي تقتضي الاشتراك[72] فلو كان الحديث واردا بلفظ " أقتل" لكان مشكلا حيث نقل البيهقي عن الشافعي أنه قال:" ليس القتال من القَتْل بسبيل وقد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله[73] وقد أشار ابن دقيق العيد إلى هذه النقطة قائلا:" ولا يلزم من إباحة المقاتلة على الصلاة إذا قوتل عليها إباحة القتل عليها من الممتنع عن فعلها إذا لم يقاتل ولا إشكال بأن قوما لو تركوا الصلاة ونصبوا القتال عليها: أنهم يقاتلون. إنما النظر والخلاف: فيما إذا تركوا إنسانا من غير نصب قتال: هل يقتل أم لا"[74] فكلامهما يدلان على الفرق بين إباحة المقاتلة-وغايتها رد العدوان- وبين القتل الذي غايته إنهاء الحياة والكفر بحد ذاته ليس مبيحا للدم كما ذكر ابن تيمية.[75] **وبناء على أن فعل المقاتلة يقتضي الاشتراك فهذا يشير إلى وجود حالة من رد الحرب والدفاع وأن الحديث وارد في سياق ضيق**. وسيتبين هذا لنا أكثر وضوحا مع تفصيل سياق تعبير الناس ومحاولة فهم من يدخل فيها.

إن جهود الشراح انصبت على تأويل كلمة الناس وبيان أن العموم ليس مقصودا لكنهم اختلفوا في طريقة تأويلها؛ حيث بين بين بعض الشراح أن الناس هم المشركون[76] وتؤيدها بعض الروايات التي جاء فيها أمرت أن أقاتل المشركين لكن قد يعارضها ما ورد في روايات أخرى أن الناس هم اليهود والنصارى. **وبرأينا أنه لا ثمة اختلاف بل إن هذا خاضع الأحداث والسياقات كما رأينا**؛ فالرسول أمر مرة بقتال كلا الطرفين الذين اشتركوا في صفة معينة وهي "**المحاربة**" وأنه من لم يشترك في المحاربة فهو غير داخل في الناس[77] وهذا ما تؤيده سياقات الحديث.

الخاتمة والنتائج

مما سبق يتبين أن سياقات الحديث بتعددها وخاصة السياق الموضوعي تدل على أن العموم ليس مقصودا منه وعلى أن الرسول في قتال المحاربين كان ينطلق من البحث عن مصلحة الدولة والحفاظ على أمنه وإذا كان العموم ليس مقصودا فالمقام الذي ورد فيه الحديث ليس سياقا تبليغيا فلو كان ينفذ أمرا تبليغيا لم يقبل الصلح من المحاربين ولكان قتلهم كلهم غير أن أحداث السيرة تشير كما بينا إلى أنه صالح من

---

72 العز بن عبد السلام *الإمام* 219/2.

73 ابن حجر *فتح الباري* 76/1.

74 العز بن عبد السلام *الإمام* 219/2.

75 ابن تيمية: *قاعدة في قتال الكفار* 92.

76 أبو محمد بدر الدين العينى *عمدة القاري شرح صحيح البخاري* بيروت: دار إحياء التراث العربي د.ت 126/4 و 245/8 و أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري* مصر: المطبعة الأميرية 1323 108/1.

77 حيث بين العيني أنه تجوز المهادنة مع عبدة الأوثان وتثبت لهم العصمة *عمدة القاري* 181/1.

تبقى من اليهود المحاربين وقَبِل برحيلهم بعد أن قاتلهم كما أن إشارة بعض العلماء أشاروا إلى أن محاربة أبي بكر لمانعي الزكاة إنما كان في سياق منع محاربتهم[78] تشير إلى أن المقاتلة ليست مرتبطة بالإسلام إنما بالمحافظة على الأمن يضاف إلى هذا أن مجال الحرب في الأصل هو مجال ليس من مجال التبليغ كما أكد على ذلك القرافي. وبما أن هذا الحديث يدخل في سياق خاص لا يقصد منه العموم فهو مرتبط بالمصلحة والمصلحة يقدرها أصحاب الرأي والمشورة إذ أن التصرفات السياسية مرتبطة بالمصلحة العامة

مما تقدم نستطيع تقرير النتائج التالية

(1) الدراسات الأصولية كانت مراعية لمفهوم السياق بأشكاله اللغوية وغير اللغوية وخاصة عند الشاطبي حيث تعامل الأصوليون مع السياق على أنه قرينة مهمة في الترجيح والتخصيص والتأويل.

(2) الحديث النبوي كحدث لغوي/فعلي مرتبط ارتباطا عضويا بسياقاته ولا يمكن فهم الحديث إلا بعد وضعه في سياقه حيث أن هذه السياقات كما أنها تشير إلى سبب ورود الحديث وعلاقاته المتشعبة تشير أيضا إلى إرادة العموم وبالتالي التبليغ أو ترجح الخصوص وبالتالي كون الحديث خارجا عن وظيفة الرسول.

(3) وهذه السياقات التي تقوم بمهمة التخصيص أو التعميم غير واحدة وهي متداخلة مع بعضها ولا بد من قراءة الحديث الواحد في ضوء السياقات التي يمكن أن ترد عليه.

(4) حديث " أمرت" حديث مرتبط بسياقه الزماني والمكاني وكلها تؤشر إلى أن النبي لم يتصرف على أنه تبليغ بل هو تصرفٌ مرتبط بسياقه الخاص يضاف إلى ذلك أن السياق الموضوعي ولغة الحديث يؤكدان على خصوصية الأمر وأن النبي قاله بصفته القيادية ولا يمكن لأحد أن ينقله إلى الواقع دون إذن الإمام.

"دور السياق في فهم تصرفات الرسول: -دراسة نظرية وتطبيقية في الأحاديث التي تأمر بقتال الناس حتى يؤمنوا"

الملخص: تتناول هذه الورقة البحثَ في دور السياق في فهم الحديث وتأويله عبر الكشف عن أنواع السياقات التي يرد الحديث فيها وأثره في تصنيف التصرف النبوي القولي والفعلي. وقد توصل البحث النظري إلى أن السياق غير اللغوي المحيط بالحديث يلعب دورا كبيرا في معرفة المقام الذي صدر منه الحديث النبوي فالسياقات بأنواعها عنصر مهم في تحديد مقاصد الأفعال النبوية كما توصل البحث إلى أن الدور المهم للسياق يتمثل في الإبقاء على عموم اللفظ أو الإبقاء على خصوصية السبب وارتباط الحديث به. وفي الدراسة التطبيقية قام الباحث بتطبيق ما توصلت إليه الدراسة النظرية على حديث البحث وتوصل إلى أن السياقات غير اللغوية واللغوية تقر بأن الحديث ورد في سياق خاص وأن القول بعمومه غير مقبول حيث أن مسارحه السياقية رجحت اختصاص الحديث.

عطف: محمد صديق "دور السياق في فهم تصرفات الرسول: -دراسة نظرية وتطبيقية في الأحاديث التي تأمر بقتال الناس حتى يؤمنوا" *مجلة بحوث الحديث* المجلد العشرون العدد الأول 2022 ص. 63-47.

الكلمات المفتاحية: سياق حديث تصرفات النبي التأويل.

"Peygamber'in Tasarruflarını Anlamada Bağlamın Rolü: 'İnsanlar inanıncaya kadar Onlarla Savaşılmasını Emreden Hadislerin Teorik ve Uygulamalı bir Tetkîki"

[78] ابن حجر *فتح الباري* 277/12.

Özet: Bu makale, hadisin bağlam türlerini ortaya koyarak, bağlamın hadisi anlama ve yorumlamadaki rolünü ve sözlü ve fiili peygamberlik davranışlarını sınıflandırmadaki etkisini ortaya koymayı amaçlamaktadır. Araştırmanın nazarî yönü, hadisi çevreleyen dil dışı bağlamın, hadisin nazil olduğu yerin, sebebin kendine has ortamı ve onunla konuşulacak bağlantının bilinmesinde büyük rol oynadığı sonucuna varmıştır. Tatbîkî boyutunda ise araştırmacı, teorik çalışmanın bulgularını tetkike konu teşkil eden hadîse uygulamış ve dil dışı ve dilsel bağlamların, hadisin özel bir bağlamda geldiğini ve genel olarak söylemenin bağlamsal olarak kabul edilmediğini kabul ettiği sonucuna varmıştır.

Atıf: Muhammed SIDDĪQ, "Davru's-siyâk fî fehmi tasarrufâti'r-Resûl: –Dirâse nazariyye ve Tatîkiyye fi'l-ehâdîsi'l-letî te'müru bi-kıtâli'n-nâse hattâ yü'minû-", (Arapça), *Hadis Tetkikleri Dergisi HTD*, XX/1, 2022, ss. 47-63.

Anahtar kelimeler: Siyâk, hadîs, Nebî'nin tasarrufları, te'vil.